

عندما تكون السياسة خطيئة

بلا أدنى شك قد تخرج السياسة عن معناها الحقيقي المثالي النموذجي فتفقد ملامحها الطبيعية ولا تحقق أهدافها التي رسمها فقهاء الفكر والفلسفة الاجتماعية الرصينة (العدالة، المساواة، الحرية، الحقوق، الرخاء، التمدن، التطور التقني، الخ). فالسياسة أحيانا تتحول إلى أداة لصناعة التخلف والفقر وتجزئة المجتمع إلى طبقات مستغلة (بفتح اللام) تقتصر حقوقها طبقة مستأسدة مستغلة (بكسر اللام).



□ **يعقوب يوسف جبر**

والمجتمع ، إن السياسة المعطاء الحامية للحقوق والباينة للدولة هي وسيلة لتتوير المجتمع ، لكن عندما يحاول البعض حبجها ، فإنها ستظل محتجبة في سبات عميق ، لنحل محلها السياسة الماكرة ، المضیعة لكل الأمال والحقوق والمسؤولیات ، على النقيض من ذلك، ففي المجتمع الحر تنشأ السياسة الهادفة لتكون أداة تغيير وليست أداة بطر وتترف وتخريب ، لكن عندما تغلب الشهوة والعاطفة والجهل والمصالح الخاصة فلن تظهر السياسة الهادفة ، يلفت غوستاف لوبون النظر إلى قوة تأثير محركي الجماهير الذين في الأغلب يمتلكون القوة في التأثير على عواطف الناس وتحريكها وهم نوعان: نوع يسعى لمصلحته الشخصية، ونوع آخر يتمثل في عظماء التاريخ من المؤسسين الحقيقيين للسلول المتمدنة أو ممن خلقوا المنجزات الكبرى أولئك الذين امتلكوا إيماناً حقيقياً بالمبادئ والأفكار التي سعوا لتحقيقها بين الناس. يبدو حسب نظرة لوبون أن من يحرك الجماهير في بلدنا ويتحكم بها وترجح كفته هم أصحاب المصالح الخاصة ، بينما يضع العظماء ، ليتوقف التاريخ عن العطاء .

والتبه ، ماذا لو لم يظهرُوا ؟ ماذا لو لم يسمح لهم المتنفذون بالظهور ؟ ماذا سيحصل ؟ هل سيدور الزمن بالمقلوب ؟ هل من الممكن أن نتصور أن السياسة في بلدنا ستظل سادرة في غيها ؟ ألم يقتنع البعض ممن يتصور ويتوهم أنه سياسي فد أن التجارب الفاشلة التي خاضها هي دليل وحجة دامغة ، تعكس افتقاره لمقومات قيادة الدولة

الحقوق والدفاع عنها ، لكن أين نجد هؤلاء القادة الخالئين ؟ أين هم ؟ متى وجود المجتمع بهم ؟ متى يسمح لهم بالظهور كمنقذين ؟ هل نفترض أن مجتمعنا لا يملك مثل هؤلاء ؟ يبدو أنه اقترض ققيم ، إن هؤلاء الأفاض لو ظهوروا ولو ثنيت لهم الوسادة لحكموا البلاد والعباد بالحكمة ، ولأساسوا كل شيء وفق المنطق ،ولانتشلوا البلاد من الضياع

بألامها ، يجوع مثلما تجوع ويصبر مثلما تصبر ويكون مثالا للشجاعة والإقدام في مقارعة المفسدين والمجرمين ، فسياسته تصلح للإصلاح وليس أداة تصلح للتخريب ، وليست أداة وعاملا يصنع بيئة الطواغيت والصوص ، فسياسة اللصوص دائما وأبدا تعني هدر الحقوق ومصادرتها ، اما سياسة الأفاض فهي حماية

أن هؤلاء الأغيار هم من الحكماء من الذين يحملون روح التغيير والإصلاح والتتوير ، فكم جاد التاريخ برجال أفاض صنعوا التاريخ الذي لا يزال يخلدهم بأحرف من نور ، من منى مينا غاندي وجيفارا وسواهما ممن كاحسوا لينوا ، ولم يكافحوا ليتسلطوا ويتعنموا على حساب الفقراء ، فالقائد الحقيقي من يعيش وسط الجماهير ويشعر

من هؤلاء الأغيار هم من الحكماء من الذين يحملون روح التغيير والإصلاح والتتوير ، فكم جاد التاريخ برجال أفاض صنعوا التاريخ الذي لا يزال يخلدهم بأحرف من نور ، من منى مينا غاندي وجيفارا وسواهما ممن كاحسوا لينوا ، ولم يكافحوا ليتسلطوا ويتعنموا على حساب الفقراء ، فالقائد الحقيقي من يعيش وسط الجماهير ويشعر

المخاتلة

فقام (يزيد) وقد أظلم بصره، وتمنى أن تسبح به الأرض
لم يكن (يزيد بن ابي أسيد) مبادراً الى ما قاله بشأن أبي مسلم الخراساني، بل كان مجيبا لسؤال طرحه عليه المنصور، ومع ذلك استساع المنصور لنفسه – ومن موقع الغرور السلطوي – أن يسمح بالمجيب الأرض، وأن يدخل الرعب الى قلبه، حتى انصرف عنه (يزيد) وهو لا بلوي على شيء !!!
وبعد أن قتل المنصور أبا مسلم الخراساني قال :
يا يزيد :
تذكر يوم شاورتك ؟
فقال له :
نعم
قال "والله كان رأيك الصواب، ولكني خشيت أن يظهر تنفسك مكيدتي" أقول:

١- اذا كان الاعتارف سيِّد الأدلة فقد اعترف (المنصور) بكبده، وأن ما جرى بينه وبين المشير كان جزءاً من المكيدة ...
٢- أن (يزيد بن أبي أسيد) حين عبّر عن سلطة المنصور (بالملك) وليس (الخليفة) كان حاذقاً في اضاءة الصفة المناسبة على صاحب (المكيدة) .

فالقتل والكيد واجتراح المظالم، ما هي إلا الممارسات المحمومة، التي يتصف بها الملوك بوصفهم أحرص الناس على دنياهم وسلطانهم وامتيازاتهم بينما يجب على (الخليفة) الحرص على مصالح الرسالة والأمة، وعليه أن يساوي نفسه بأضعف مواطنيه ...

وإننا اليوم نعانى لا من المخاتلة التي يتصف بها المحترفون السياسيون والسلطويون فحسب بل من (صفقاتهم) السرية ...
ألم يقل الرصافي :
لا يخذلك حديث القوم في الوطن
فالقوم في السرّ غير القوم في العلن
اللهم أعذنا من شرور المخاتلين والمساومين على حساب الوطن والمواطنين.



قال المتنبي :
إذا رأيت نبوّ الليث بارزّة
فلا تظنّ أن الليث يبتسم
٢-
من يستقري التاريخ يجد أن طابع الملوك والحكام تختلف عن طابع غيرهم من الناس، فإنهم قد يُظهرون خلاف ما يُبطنون، في منحى من الختل والدعاء ، يتحفظون بذلك عما عقدا عليه النية من قرارات ذات أبعاد خطيرة يريدون إبقاءها مخفية .

٣-
جاء في التاريخ :
أن (المنصور) خلا (يزيد بن أبي أسير) يوما وسأله :
ما ترى في قتل أبي مسلم الخراساني ؟
فقال :
(أرى أن نقتله، وتقرب الى الله بدمه، فو الله لا يصفو ملك ولا تهناً يعيش ما بقي) وفي هذا الجواب من التحريض على سرعة قتل أبي مسلم الخراساني ما فيه ...
وصوله لم أن أبا مسلم الخراساني كان له الدور الفاعل في الدعوة الى بني العباس . والكفاح المتواصل من أجل إيصالهم الى السلطة، ولكن الثورة – كما قيل – تاكل أبناءها !!!

لقد صادف جواب – (يزيد بن ابي أسيد) هوّى في نفس المنصور، الذي كان جاداً في التخلص منه بأيّ ثمن، ولكنه تظاهر بالنفور مما أبداه المشير...!!

لقد كان الامتعاض شديدا للغاية، بحيث خشى (النشير) على نفسه، مما قد يقدم عليه (المنصور) من إجراء عقابي صارم يودي بحياته ...
وهنا يمكننا القول :
إن المنصور كان بارعاً في المخاتلة ..
ولقد أسمع المنصور (يزيد بن ابي أسيد) كلمات قاسية صاغها على شكل دعاء يتضرّع به الى الله !!!
قال المنصور له :
" قطع الله لسانك،



١-
قال المتنبي :
إذا رأيت نبوّ الليث بارزّة
فلا تظنّ أن الليث يبتسم
٢-
من يستقري التاريخ يجد أن طابع الملوك والحكام تختلف عن طابع غيرهم من الناس، فإنهم قد يُظهرون خلاف ما يُبطنون، في منحى من الختل والدعاء ، يتحفظون بذلك عما عقدا عليه النية من قرارات ذات أبعاد خطيرة يريدون إبقاءها مخفية .

٣-
جاء في التاريخ :
أن (المنصور) خلا (يزيد بن أبي أسير) يوما وسأله :
ما ترى في قتل أبي مسلم الخراساني ؟
فقال :
(أرى أن نقتله، وتقرب الى الله بدمه، فو الله لا يصفو ملك ولا تهناً يعيش ما بقي) وفي هذا الجواب من التحريض على سرعة قتل أبي مسلم الخراساني ما فيه ...
وصوله لم أن أبا مسلم الخراساني كان له الدور الفاعل في الدعوة الى بني العباس . والكفاح المتواصل من أجل إيصالهم الى السلطة، ولكن الثورة – كما قيل – تاكل أبناءها !!!

لقد صادف جواب – (يزيد بن ابي أسيد) هوّى في نفس المنصور، الذي كان جاداً في التخلص منه بأيّ ثمن، ولكنه تظاهر بالنفور مما أبداه المشير...!!

لقد كان الامتعاض شديدا للغاية، بحيث خشى (النشير) على نفسه، مما قد يقدم عليه (المنصور) من إجراء عقابي صارم يودي بحياته ...
وهنا يمكننا القول :
إن المنصور كان بارعاً في المخاتلة ..
ولقد أسمع المنصور (يزيد بن ابي أسيد) كلمات قاسية صاغها على شكل دعاء يتضرّع به الى الله !!!
قال المنصور له :
" قطع الله لسانك،

١-
قال المتنبي :
إذا رأيت نبوّ الليث بارزّة
فلا تظنّ أن الليث يبتسم
٢-
من يستقري التاريخ يجد أن طابع الملوك والحكام تختلف عن طابع غيرهم من الناس، فإنهم قد يُظهرون خلاف ما يُبطنون، في منحى من الختل والدعاء ، يتحفظون بذلك عما عقدا عليه النية من قرارات ذات أبعاد خطيرة يريدون إبقاءها مخفية .

٣-
جاء في التاريخ :
أن (المنصور) خلا (يزيد بن أبي أسير) يوما وسأله :
ما ترى في قتل أبي مسلم الخراساني ؟
فقال :
(أرى أن نقتله، وتقرب الى الله بدمه، فو الله لا يصفو ملك ولا تهناً يعيش ما بقي) وفي هذا الجواب من التحريض على سرعة قتل أبي مسلم الخراساني ما فيه ...
وصوله لم أن أبا مسلم الخراساني كان له الدور الفاعل في الدعوة الى بني العباس . والكفاح المتواصل من أجل إيصالهم الى السلطة، ولكن الثورة – كما قيل – تاكل أبناءها !!!

أما اشكالتنا مع المفهوم في زمننا هذا، فهو محصور بين ضيق أفق الفهم اللا معرفي من جهة، وتعتمد محو وجود الثقافة والمنقف من جهة أخرى. ونتصور أن المنقف كيانٌ مربع يُهدد وجودنا. وهذا الأمر عانتُهُ شعوبٌ عديدة وسط تقلبات وضعها السياسي والاجتماعي والديني، قبل حسم أمرها مع الدين حصراً. أي أنها في النهاية تغلبت على نقاط ضعفها وأسست لحياة جديدة تسودها الحرية والديمقراطية بأدق تفاصيلهما. نحن بحاجة إلى توسيع أفقنا حول مفهوم الثقافة، ومن ثم تحويلها إلى أداة لفهم الحياة وبنائها بشكل يضمن للإنسان الرفاهية والعيش الكريم. ولا يتم هذا إلا عبر الغرس الأول، أي التربية الأولى، سواء في البيت أو المدرسة. إن الأداء التربوي لا تتم حلقاته إلا بطبيعة المنهج مثلاً. المنهج الدراسي المتخصص، والمراس تحسين عقل المتعلم، وكثرة أسئلته واستفساراته. صحيح أن الجينات الأولى تلعب دوراً في خلق نشاط المتعلم في كل المراحل الدراسية، لكن للخبرة والمراس وحسن الأداء تغلبان على نقاط الضعف، فنحن لسنا فقط نعمل على إعداد العابرة والاستثنائيين، وإنما خلق جيل مدرك وصاحب مشروع مهما كان بسيطاً، غير أنه يصب في بناء الحياة، والعمل عند الكل مهما اختلفت وظائفهم على خلق مناخات التطور والرفعة للواقع.



في ضروب الثقافة، واجتهادات تتناول ضروب القراءة، وتعّد أشكال ومناحي الثقافة ، يكون بحسابنا أمر الخروج عن النمط في المفهوم . حيث لا يتبادر إلى أذهاننا حين نطلق مصطلح الثقافة، تتمثل أمامنا حدود ضيقة لها . فالسعة في المفهوم يجد له فيهاً عبر المطبوع الذي يحفز الاجتهاد، لكن الأمر هنا متداخل مع اشكالية الثقافة وعلاقتها بالإنسان عامة. وليس الإنسان المنقف، في هذا المجال تتحول الثقافة إلى معرفة، والمعرفة تنطوي على الاجتهاد والابتكار وخلق المفاهيم الخاصة والعامة والاهتمام بهدف التغيير للإنسان الآخر بالحوار وسبل الاقناع، بعيداً عن سلطة الطرح، بل عبر ليونته، أي الحوار الذي لا يلغي الآخر ولا يؤكد على أن هذا خطأ وهذا صحيح، لأنهما مفهومان نسبيان، مهما كانت الأسباب في الاختلاف المبدئي. إننا واقعون تماماً في شرك الواحدية في الثقافة، لذا لا تجد لهذه الثقافة والمنقف نوعاً من التأثير، لأننا لسنا أصحاب مشروع ثقافي، تنازّر في تنفيذه مؤسسات يعي من يتسبب إليها معنى الثقافة بصورتها الشمولية.

في التعليم مثلاً نلّقن المعلومات ولا ندرّسها، نعمل باسترخاء تام على تخييب مفهوم التربية والتعليم الذي يعمل على صناعة الشخصية الفاعلة عبر تقنية العقل (الأسلوب / الطريقة) لإعداد الإنسان. هذا الكيان الفذ، نغده كي يتمكن من الوقوف بقوة أمام المحو وتدجين العقل ومسحه بالخرافات والبِدْع. التربية والتعليم يوقظ الملكة، وينبّي فعل التفكير وتنشيط العقل، بل ينمّي كل الحواس. هكذا يتم الإعداد، وهكذا أيضاً يتربى الإنسان على المفهوم الواسع للثقافة. فحين نعمل على إهزام الطالب أن نخاطفه الصف جزءً من نشاط العقل، وهي مكّلة لبنيان ثقافتنا ومعرفتنا. ويشمل ذلك آداب الطعام ثم الرزي واللباس. هذا النشاط الثقافي التربوي يفرس في النفس سعة الرؤى، لخلق نموذج يستعمل عقله في كل فعالية حياتية، ولا يستسلم للجاهل وسريع الانطباع. ولعلنا في هذا وقفنا على الجذور التي تستنبت شكل الحوار مع الذات ومع العالم.

فالوجود مهما كان صغيراً يتطلب الحوار معه. لذا من هذا المنطلق، نجد خلال ما نقرأ من اجتهادات

الثقافة بمفهومها الواسع تشمل ضرورياً من مفاصل الوجود، بعد أن كانت محصورة في الضربين الأدبي والسياسي. لاسيما ضمن واقعنا العراقي الذي تواتت عليه المتغيرات ذات النمط المشوب بالانحسار والاختصار وضيق الأفق. ولعل الاضطراب السياسي وعدم الاستقرار على وضوح كامل، جعل من العقل يمارس الاستسهال في تحديد المفهوم، والقبول بالجاهل غير المحفّز للعقل. ولعل هذا المنحى في فهم الثقافة يتواصل منذ مراحل التعليم الأولى، التي يتربى عليها الإنسان صغيراً ليكسب مهارة الحياة وكيفية التخلص من المشتبك.

رؤية

■ ساطع راجي

الديمقراطية السجينة

تمكنت مجموعة عراقية صغيرة من تقديم إضافة استثنائية للديمقراطية تنظيراً وتطبيقاً؛ هذه المجموعة هي قادة بضعة تشكيلات سياسية لا يزيد عددهم على أصابع اليدين، ولكنهم امتلكوا من النباهة والحصافة وعمق التفكير ما جعلهم يتجاوزون المفكرين والساساة حول العالم وعبر الزمن؛ فقد اخترعوا "الديمقراطية السجينة" وهي ديمقراطية لا تؤدي الى شيء؛ هي تماماً كما شخصها نائب عبقري أكد التمسك بزعيمه الى حد الإصرار على استنساخه فيما لو انتهى أجله؛ هي ديمقراطية استنساخ الحكام فعلا، لكن أفسى ما فيها أنها تسجن تفكير الناس؛ سواء كانوا مواطنين عاديين أو كتاب وإعلاميين ومحللين أو حتى ساسة منافسين أو قوى دولية وإقليمية.

مؤسسو الديمقراطية السجينة أقتعوا الجميع بعدم وجود غيرهم الى حد الاستسلام لهم ومتابعهم ببلاهة وكان الحياة خلت من غير هؤلاء السبعة أو الثمانية أشخاص الذين يجبكون القوانين ويديرون مؤسسات الدولة بطريقة تؤدي الى رسوخهم الأبدى؛ فهم السراق والمصلحون والحكام والمعترضون و السلطة والمتظاهرون وهم إسلاميون طائفيون ديمقراطيون مدنيون ليبراليون؛ يمتلكون البارات والملاهي والجمامع وساحات وقوف السيارات، هم يتجاوزون على الأرصفة والأراضي العامة ثم يزيلون التجاوزات لتجاوزوا مجددا؛ هم يعينون مسؤولين حزبيين ثم يسخطون عليهم ويطالبون بتكوير اراط مستقل يعينونهم أيضا بقوتهم الحزبية.

لقد تورطنا تماماً والى حد الاستسلام بهذه الديمقراطية السجينة التي يغير فيها الزعيم اسم حزبه وتوجهه الفكري ونوع تجارته ومقاولاته وهو مطمئن ضامن لبقائه في السلطة بلا تغيير؛ في الديمقراطية السجينة يشعر الحاكم بالمل من نفسه ومن سلطته واسمه فيغير، لكن المواطن سيلحقونه أينما ذهب تابعين له متتبيين به ليكون شوقا لرويته إذا غاب ويندافعون نحوه إذا حضر ثم يشتمونه ويتجنّبونه ويشتمونه؛ هذه التبعية مرض نفسي يجيد استغلاله الحكام.

وسائل الإعلام شريكة أساسية في فعالية الديمقراطية السجينة؛ ففي هذه الأيام مثلاً، تلاحق وسائل الإعلام تحركات بضعة أشخاص على مدار الساعة ترقباً لبرؤغ أهلة تحالفاتهم الانتخابية وتعامل معهم كقدر سياسي؛ أي أنهم منتصرون منتصرون لا محالة، وليس لدى أي وسيلة إعلامية الرغبة في توسيع مساحة تغطيتها لتشمل قوائم وتحالفات من خارج دائرة السلطة؛ أم أن جميع المنافسين هم في السلطة بدوافئها المتعددة؟! الإعلام؛ وهو ساحة الديمقراطية الأولى؛ لا يريد تحريك رأسه واشغال عيونه حتى بحادث اراهابي مفعج في قلب العاصمة أطاح بأجساد عشرات الكادحين أي الشعب الذي سينتخب سلطة تحكمه من أجله (الديمقراطية هي حكم الشعب للشعب من أجل الشعب)، بل يصر على الإعلام على استجداء تصريحات لساسة ونواب هي بالأصل نعاية بدلا من ملاحقة الجرحى الى المستشفيات أو الشهداء الى نوبيهم؛ هذا تخادم سياسي وإعلامي واجتماعي مع نظرية الديمقراطية السجينة التي لا ترى غير القلة الحاكمة وهذه دكتاتورية قديمة سماها الأفرقيق دكتاتورية الأقلية الحاكمة (الأوليغارشية)، وهي في عرفنا العراقي اليوم حكم أقلية الناصبين المتفوقين؛ الذين يستغلون مظلمات شهداء وأحزاب وجرى وسجناء وقوميات وطوائف ومحافظات لكي يحكموا هم ويضمنوا حياة مرفهة للجيل العاشر من أبنائهم الذين سينفخرون بسبب الثروة التي تركها لهم أبائؤهم الساسة ولن يقول أحد الأحفاد أن جده كان سياسياً بدرجة نصاب، لأن ديمقراطية العراق السجينة كانت تسمح بالجمع بين وظيفتين من هذا النوع. الانشغال بالتحالفات الانتخابية بين أطراف الأقلية الحاكمة والنصب والتزييف هو ترسيخ للديمقراطية السجينة في عقول الناس، لأن الانشغال يتعامل مع القوى الحاكمة على أنها مختلفة أو متباينة وهي ليست كذلك بالتأكيد وهي متحالفة قبل الانتخابات في الحكومة وسواء تحالفت انتخابيا أم لا، فإنها ستتحالف بعد الانتخابات لتتقاسم حقائق الحكومة.

في العهد الملكي كانت الديمقراطية العراقية أيضاً سجيبة تنتج وتعيد إنتاج نفس الأشخاص حتى قتلت نفسها وانتجت الحكم العسكري؛ وفي الماضي والحاضر؛ معضلة الحياة السياسية عندها هي تكاثر الأحزاب مع بقاء نفس الأشخاص؛ وهو خلاف ما يحدث في العالم الذي يتجه دائماً الى عدد محدود من الأحزاب تتفهم الواقع وتنتج البرامج وتقدم وجوها جديدة باستمرار.

الثقافة والثقة

□ **جاسم عاصي**